

ردّ على مذهب الوهابيين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

قال الشيخ العلامة الحافظ الحجة

شيخ الجماعة بفاس الطيب بن كيران الفاسي

الحمد لله الذي أوضح معالم الدين وبين الرشيد من الغي للمؤمنين ونفا الشكوك والأوهام على قلوب عباده المؤمنين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وإمام المتقين الساري هديه في الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين. ﷺ وعلى آله المنتجبين وصحابته الهداة المهديين والذين اتبعوه بإحسان لا ضالين ومضلين.

وبعد فالظاهر^(١) في هذه الأزمنة الصعبة المدهمة جماعة قبل المشرق شوشوا على عامة^(٢) المسلمين عقايدهم وكفروا من خالفهم من الأمة. وألق بعض رؤسائهم في ذلك رسائل واستدل لها ادعاه بما توهم^(٣) معدوداً من الدلائل. ووقع^(٤) في يد مولانا الإمام الأوحده، عالم السلاطين وسلطان العلماء القند، أمير المؤمنين (أبي المكارم)^(٥) سيدنا سليمان بن مولانا محمد، أبقاه الله ذاباً عن دينه وملاذاً لأهل الحق في حينه، رسالتان منسويتان لسعود بن عبد العزيز، إحداهما صغرى نحو ورقتين والأخرى كبرى نحو كراسة. (أمرني)^(٦) أن أمعن النظر فيما انتحاه واعتمده وحمل العامة عليه وتقلده، وأن أقيّد في ذلك ما ظهر لي من رد وتلقاده مستقفاً به من عسى أن [يستهديهم^(٧) تمويههم من العباد، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ويبين الجهم من حامل الصيب.

(١) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): فلما ظهر.

(٢) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): جماعة.

(٣) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): واستدلوا لمدعاه بما توهمه.

(٤) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): ووقع من ذلك.

(٥) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): لا توجد.

(٦) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): بياض.

(٧) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): يستهويهم.

قلت^(١) ممثلاً، وبالله مستعيناً ولتوفيقه موعلاً، ينبغي أن نبين أولاً حقيقة الإيمان والكفر ثم حاصل المذهب الساخوذ من رسالتي سعود المذكور ثم ما يرد عليه وعلى ما بناء عليه ثم ما يتعلق ببعض ألفاظ الرسالتين فنقول:

أما الإيمان شرعاً فهو كما قال سعد الدين وغيره تصديق النبي ﷺ فيما علم^(٢) مجبته به من عند الله تعالى ولو إجمالاً فيما لم يعلم^(٣) تفصيله ويتضمن التصديق المذكور الإذعان والقبول لحكم المخبر. وليس المراد به مجرد نسبة الصدق إلى الخبر أو المخبر فلا يتحقق التصديق بما ذكر إلا بثلاثة أمور:

أحدها المعرفة، وهي التجلي والانكشاف لحقيقة ما علم بالضرورة محيي المصطفى (به)^(٤) بحيث لا ينطرق إلى شيء منه احتمال التقيض بوجه. وبهذه المعرفة فسر الشيخ أبو الحسن الأشعري التصديق المذكور مرة.

ثانيها حديث النفس التابع لها. وبه فسر الأشعري التصديق المذكور مرة أخرى. إذ أجاب بأنه قول في النفس غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح دونها. وارتضى الباقلاني هذا الثاني لأن التصديق والتكذيب بالأقوال أجدر. وكذا ارتضاه إمام الحرمين في الإرشاد فقال التحقيق إن التصديق كلام النفس ولكن لا يثبت إلا مع العلم. فإننا أوضحنا أن كلام النفس يثبت على حسب الاعتقاد. قال الكمال بن أبي شريف ويحتمل أنه المجموع من [المعرفة وذلك الكلام النفسي. وباعتبار^(٥) أسباب المعرفة المؤدية إليها من توجيه الحواس وصرف النظر ورفع الموانع أو باعتبار حديث النفس التابع لها^(٦) كان الإيمان فعلاً قلبياً فصيحاً أن يكلف به مع أنه لا تكليف^(٧) إلا بفعل اختياري.

ثالثها الاستسلام والانقياد والإذعان لما جاء به الرسول بمعنى قبول الأحكام والرضا بتبعيته. ولقد ذلك حكماً على كثير من أهل الكتاب وغيرهم بالكفر مع أنهم كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ويستيقنون أمره إلا أنهم لم يرضوا بصيرورتهم من اتباعه بل استكبروا ولم يذعنوا فلم يكونوا مصدقين. وكذا أبو طالب الذي قال في بعض أشعاره يخاطب المصطفى (ﷺ)^(٨):

ودعوتني وزعمت أنك ناصح
ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه
من خير أديان البرية ديناً

- (١) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): فقلت.
- (٢) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): فيما علم بالضرورة.
- (٣) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): فيما يعلم.
- (٤) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): لا توجد.
- (٥) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): وباعتبار المعرفة التي هي من قبيل العلوم وكان الإيمان مستفاداً بالبراهين وباعتبار...
- (٦) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): التابع لها اللازم.
- (٧) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): لا يتكلف.
- (٨) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): لا توجد.

والكفر^(١) إنكار شيء مما علم محيي المصطفى به ضرورة. ولما كان الإيمان أمراً باطناً^(٢) لا اطلاع لنا عليه ناطه الشرع ثبوتاً وانتفاء بأمور ظاهرة تدلّ عليهما. ففي الثبوت صبطه بالتلفظ بالشهادتين وما في معناه. وفي الانتفاء بظهور أمارات التكذيب كشدة زناار اختياراً على القول بأنه كفر وكالسجود اختياراً للشمس أو صتم أو استخفافاً بنبى أو بالكعبة وإلقاء مصحف بقدر ونحو ذلك. فلا بد في حكمنا على شخص بالإيمان من [العلق بالشهادتين أو ما في معناه وانتفاء الأمارات المذكورة. فظهر أن ليست حقيقة الإيمان مجرد كلمة^(٣) على ما زعمت الكرامية بل الإيمان أمر قلبي. بدليل قوله تعالى: «أولئك كتب في قلوبهم الإيمان»^(٤)، و«قلبه مطمئن بالإيمان»^(٥)، و«لما يدخل الإيمان في قلوبكم»^(٦)، وفي الحديث: «اللهم ثبت قلبي على دينك». وقال عليه السلام: «لأسماء حين قتل من قال لا إله إلا الله: «هلاً شفقت على قلبه». ولهذا صحّ نفي الإيمان عن بعض المقرين باللسان قال تعالى: «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين»^(٧). وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم»^(٨). ولا نزاع أن المقر باللسان^(٩) إذا لم يعلم ما في قلبه يسمى مؤمناً لغةً وشرعاً وتجري عليه أحكام الإيمان، ولكن ذلك لضئ المواعظ. وإنما تراعنا في كونه مؤمناً عن الله والنبي ﷺ. والصحابة كما كانوا يحكمون بإيمان المقر باللسان نظن السواطات كانوا يحكمون بكفر المتأفق وتخليده في الدرك الأسفل من النار. وأيضاً الإجماع على أن من صدق بقلبه ومنعه من النطق خرس ونحوه فهو مؤمن، فيبطل قول الكرامية المذكور.

وظهر أيضاً من حد الإيمان أن الأعمال المسماة بالإسلام غير داخلّة في مفهوم مطلق الإيمان شرعاً. ويكف ذلك^(١٠) عطفها على الإيمان في الكتاب والسنة كثيراً، كقوله تعالى: «أن الدين آمنوا وعملوا الصالحات»^(١١)، «وأما من تاب وآمن وعمل صالحاً»^(١٢). وتقييد

(١) مخطوط د ٢٥٩٤ (م. و. ر): بالحاشية: حقيقة الكفر.

(٢) مخطوط د ٢٥٩٤ (م. و. ر): أمراً قلوبياً.

(٣) مخطوط د ٢٥٩٤ (م. و. ر): كلمتي الشهادتين.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٥) سورة النحل، الآية ١٠٦.

(٦) سورة الحجرات، الآية ١٤.

(٧) سورة البقرة، الآية ٨.

(٨) سورة الحجرات، الآية ١٤.

(٩) مخطوط د ٢٥٩٤ (م. و. ر): باللسان فقط.

(١٠) مخطوط د ٢٥٩٤ (م. و. ر): ذلك.

(١١) هذا المقطع موجود بالآيات التالية: البقرة: ٦١، يونس: ٩، هود: ٢٣، الكهف: ٣٠ و١٠٧.

مريم: ٩٦، فصلت: ٨، البقرة: ٧.

(١٢) سورة القصص، الآية ٦٧.

العمل بالإيمان في قوله تعالى: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن»^(٩٢). وإثبات الإيمان لمن ترك بعض العمل كقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين افسسوا (فأصلحوا) [بينهما]»^(٩٣). فسقط قول المعتزلة إن الأعمال جزء من معنى الإيمان (ينتهي)^(٩٤) بانتفاءها حتى جعلوا العاصي خارجاً عن الإيمان غير داخل في الكفر فأنشئوا منزلة بين المنزلتين^(٩٥). نعم كثيراً ما يطلق السلف الإيمان على الكامل المنجي، وهو المشتمل على الأعمال فيقولون، ومنهم ابن أبي زيد في الوسالة، «الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح». وينبغي أن نعلم هنا ما ورد في الشرع من إطلاقات لفظ الإيمان ونقطة الإسلام وما هو منها حقيقة وما هو منها مجاز.

فقول ينحصر من استعمالات الشرع أن لكل منها ثلاثة إطلاقات فيطلق الإسلام على التعلق بالشهادتين أو ما يقوم مقامه كإشارة الأخرس. وهذا حقيقة الإسلام الذي لا تحقق له بدونه وعليه حديث: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة». إذ معلوم أنه لا يدخلها إلا مسلم^(٩٦). وفيه اكتفاء أي محمد رسول الله. ويطلق أيضاً على جميع الطاعات من الأفعال والأعمال^(٩٧) الظاهرة والباطنة دون عقائد الإيمان، فإنها ليست من الأفعال. وعليه حديث ابن أبي شيبة: «الإسلام علانية والإيمان في القلب». وفي قوله علانية تغليب لأعمال الظاهر على أعمال الباطن. وهذا الإطلاق مجاز من إطلاق اسم الشيء على الفرد الكامل منه وهو الذي فسر به حديث جبريل - إلا أنه اقتصر من خصال الإسلام على الخمس لأهميتها وأكديتها على حد قوله الحج عرفات^(٩٨). وهو الذي في حديث ابن عمر أيضاً: «بني الإسلام على خمس» لأنه جعله جميع الخصال أعني الطاعات القولية والفعلية ظاهراً وباطناً. إلا أنها مبنية على الخمس لكونها الأساس والعمدة [كأنه جعل الإسلام حصناً أو قبة. هذه الخمس أركانها ودعائمها والباقي تابع لها. ويقدر ما نقص من الخصال بنقص كمال الإسلام. ولا ينتفي الإسلام إلا بانتفاء النطق بالشهادتين وما في معناه. ويطلق أيضاً بمعنى الدين فيعم الإيمان والإسلام بالمعنيين السابقين والإحسان. وهو أيضاً في هذا المعنى حقيقة شرعية وعليه «إن الدين عند الله الإسلام»^(٩٩). و«رضيت لكم الإسلام ديناً»^(١٠٠).

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٩.

(٣) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): لا توجد.

(٤) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): لا توجد.

(٥) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): منزلتين.

(٦) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): إذ معلوم لا يدخل الجنة إلا مؤمن مسلم.

(٧) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): الأفعال.

(٨) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): عرفة.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١٩.

(١٠) سورة المائدة، الآية ٣.

و«من يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»^(١). وبهذا الاعتبار ورد أفضل الإسلام الإيمان. إذ لا تعتبر أعمال الجوارح إلا مع الإيمان. إذ الإيمان شرط للاعتداد بالعبادات. وقد يوجد الإيمان المعتد به بدون شيء منها (كمن صدق قلبه فاحترق قبل اتساع وقت النطق للثقل)^(٢) أو لم يكن قادراً عليه. وإنما يضر الامتناع منه اختياراً لأنه من أمارات التكذيب فلا يتحقق معه التصديق الذي هو الإيمان.

وأما الإيمان فأحد إطلاقاته ما تقدم أعني تصديق النبي ﷺ فيما علم بالضرورة مجيئه به عن الله سبحانه. فيعلم ما فسر به في حديث جبريل ويزيد أموراً آخر كالتصديق بوجوب الخمس وحرمة الزنا والخمر. وذلك داخل في التصديق بالكتب والرسول^(٣) إجمالاً. فالغاية في حديث جبريل إنما هو تتبع^(٤) التفاصيل. وهذا الإطلاق حقيقة شرعية ويطلق على ما يشتمل ذلك وقول النسان وعمل الجوارح. وهو إطلاق مجازي من إطلاق اسم الشيء على الفرد الكامل منه. وعليه قول الرسالة كغيرها «الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح». ويطلق أيضاً على الخصال التي هي ثمرات التصديق وشعائره مجازاً أيضاً كالصلاة نحو: «وما كان الله ليقضي إيمانكم»^(٥) أي صلاتكم إلى بيت المقدس ولما ثبت أن الحياة من الإيمان وأن أداء الخمس من الإيمان. وعليه ما في حديث وفد عبد القيس من تفسيره^(٦) بشيء من تلك الخصال وهو معجاز مرسل من^(٧) باب تسمية الشيء باسم سبه.

فتحصل للإسلام إطلاقان حقيقيان وإطلاق مجازي وتلايمان واحد حقيقي واثنان مجازيان وهذا كله بالنسبة إلى الشرح. وأما باعتبار اللغة فالكل مجاز لأن تلك المعاني أخفى من العداول اللغوي. وإطلاق الأعم على الأخص من حيث تقييده بالقيود الخاصة مجاز بخلاف إطلاقه عليه من حيث إنه فرد من أفراد العام قلط فإنه حقيقة كما للسعود وغيره. كما لو لقبت زيدا فقلت لقبت رجلاً أو إنساناً. وما فسرناه^(٨) من هذه الإطلاقات أنه تحريراً مما فضله في الإحياء فإن فيه تخطيطاً والله أعلم.

وأما حاصل مذهب الرسائين المأخوذ منهما ومن رسايل أخرى، وقفنا عليها متسوية لمحمد بن عبد الوهاب، فهو أن كل من تعلق بمخلوق في جلب أو دفع على غير الوجه العادي من تعاون الأحياء وارتفاق بعضهم ببعض فهو مشرك حقيقة مباح دمه وماله. فيحتمل أنه قاس

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٢) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): لا توجد.

(٣) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): بالرسول والكتب.

(٤) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): تتابع.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٦) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): يتفسيره.

(٧) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): و.

(٨) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر.): فصلناه.

التعلق بالأنبياء والصالحين في جلب أو دفع على عبادة الأصنام فيكون دعواه نتيجة قياس أصولي وتسميه الساطقة التمثيل ونظفه أن يقال التعلق بالصالحين^(١) في جلب أو دفع [على غير الطريق العادي لعبادة لغير الله تعالى فيكون شركاً كعبادة الأصنام. فالقياس التعلق بالأنبياء والصالحين على غير الطريق العادي والمقيس عليه عبادة الأصنام والعلة الجامعة أن كلا منهما عبادة لغير الله. والحكم المتعدي من الأصل - أعني المقيس عليه - إلى الفرع - أعني المقيس - أنه شرك يبيح الدم والمال. واحترازنا بقولنا على غير الطريق العادي. فمن اجتمع بنبي أو ولي في حياته قبل وفاته فطلب منه دعوة صالحة وتعليم علم أو دواء داء مثلاً فإن ذلك لا يكون شركاً عند هذا القائل. ويحتمل أن يجعل دعواه نتيجة قياس منطقي افتراضي من الشكل الأول. ونظفه أن يقال التعلق بمخلوق في جلب أو دفع على الطريق العادي عبادة له وعبادة المخلوق شرك يبيح الدم والمال. ينتج التعلق بمخلوق في جلب أو دفع على غير الطريق العادي شرك يبيح الدم والمال وقبح على ذلك أن منع الاستغاثة في المهمات^(٢) بالأنبياء والصالحين وأن ذم طلب الشفاعة منهم والتوسل بهم والتبرك بآثارهم وفي ذلك إبطال لفائدة زيارتهم وأن منع النذر لهم والتدبح عند أمرحتهم وصرح في أكثر ذلك بأنه شرك.

وأما ما يرد عليه فهو أن القياس المذكور فاسد لأن العلة فيه غير شاملة لجميع جزئيات المقيس. إذ ليس كل تعلق بالأنبياء والصالحين على غير الطريق العادي عبادة لغير الله تعالى وكذا الملائكة لما ستعرفه في معنى العبادة شرعاً. فلا يكون المتعلق بهم شركاً على أي وجه كان تعلفه. ومقصود صاحب ذلك [المذهب] إنسا هو الكلية فإذا كانت العلة غير عامة في أفراد المقيس اختل القياس لنقص شرطه من وجود العلة في المقيس. وأما القياس المنطقي المذكور فكبره مسلمة وإن أخذت كلية كما هو شرط الإنتاج في الشكل الأول لصدق قولنا كل عبادة للمخلوق شرك. قال الله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه»^(٣)، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»^(٤)، «ومن يدعو مع الله إلهاً آخر أي معبود آخر إلى قوله «إنه لا يفلح الكافرون»^(٥) إلى غير ذلك مما هو صريح الآيات والأخبار وهو معلوم من الدين ضرورة. وأما صغرها فإن أخذت جزئية لم تعد شيئاً لأن نتيجة جزئية وهي بعض التعلق بالمخلوق في جلب أو دفع شرك مسلم لكن لا يلزم منه تكفير كل من تعلق بمخلوق على غير الطريق العادي مطلقاً. فإن الجزئية أعم من الكلية صدقاً وصدقاً الأعم لا يستلزم صدق الأخص. وإن أخذت تلك الصغرى كلية بأن يقال كل تعلق بمخلوق في جلب أو دفع على غير الطريق العادي عبادة له فصدها ممنوع بل هي كاذبة لصدق نقيضها وهو أن بعض التعلق بالمخلوق المذكور ليس

(١) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): بالأنبياء والصالحين.

(٢) مخطوط د. ٢٥٩٤ (م. و. ر): في المهمات والمهمات.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ١١٠.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ١١٧.

عبادة المخلوق . وإذا كذبت إحدى المقدمتين لم يقدم صدق النتيجة وإنما قلنا يكتفي بها لأن العبادة . كما قال أئمة اللغة والتفسير ، هي غاية التدلل والخضوع . وعبارة الزمخشري : «والعبادة أقصى غاية الخضوع والتدلل» اهـ ، وهذا معناها لغة .

وأما معناها في عرف الشرع فأخص من ذلك كما هو شأن الحقايق الشرعية فإنها في الغالب أخص من المعنى اللغوي . فالعبادة [شرعاً غاية التدلل والخضوع لمن يعتقد له الخاضع بعض صفات الربوبية ، ينسب عنه مواضع استعمالها في الشرع . وإلا فمن غاية الخضوع السجود . ولو كان بنفسه عبادة من غير اعتبار قيد زائد لم يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم لأن عبادة غيره تعالى كفر . والله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر . ولما كان سجد إخوة يوسف ليوسف وأبويه له عبادة منهم له فيكون كفراً . إذ ما هو كفر لا يختلف باختلاف الشرائع . ولا يجاب بأن السجود في الموضوعين كان سجد تحية لا سجد عبادة لأن هذا إنما يشهد لما ذكرناه من أن غاية الخضوع لا تكون عبادة بمجرد ما بل حتى تكون على وجه خاص وهو اعتقاد الخاضع ثبوت صفة من صفات الربوبية للمخضوع له . وما قيل من أن السجود لآدم كان لله وآدم كالقبلة ، فاللام في قوله لآدم للتناية بمعنى إلى خلاف مقتضى قوله اسجد لمن خلقت طيناً أربابك هذا الذي كرست علي أنا خبير منه . قال الحافظ بن كثير : «قوله تعالى : «وخرّوا له سجداً» أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً وقد كان هذا سابقاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جازماً من نذر آدم إلى عيسى عليه السلام فجزم هذا في هذه الأمة وجعل السجود مختصاً بجانب الرب تبارك وتعالى» . هذا مضمون قول قتادة وغيره وفي الحديث أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأسافقتهم فلما رجع سجد للنبي ﷺ فقال ما هذا يا معاذ فقال إني رأيتهم يسجدون لأسافقتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله [قال لو كنت أمر أحداً أن يسجد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظيم حقه عليها . وفي حديث آخر أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث العهد بالإسلام فسجد للنبي ﷺ فقال لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحق الذي لا يموت ، والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم اهـ كلامه . وحينئذ نقول إنما كفر أهل الجاهلية بعبادة الأصنام لئلا يفسد اعتقادهم ثبوت شيء من صفات الربوبية لها ويؤيد هذا التسجيل عليهم بأنهم اتخذوها أنداداً لله وأحبوها كحبهم إياه كما قال تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . وقال تعريضاً بهم : فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ، والأنداد جمع ند بالكسر قال أهل اللغة والتفسير هو المثل المقلد أي المعاند المقاوم يدل على أنهم أثبتوا لها ضرباً من العقامة وإن كانوا يقولون إن الله هو الإله الأعظم ويؤيده أيضاً ما حكاه عنهم بقوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله أن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين فإن التسوية المذكورة إن كانت في الوصف بالالهوية وإثبات شيء من صفات الربوبية وهو المطلوب . ومن هذه الحيثية نشأ شركهم وكفرهم لأن صفاته تعالى تجب لها الوجدانية بمعنى عدم وجود نظير لها لا قابم بذاته تعالى ولا بذات أخرى كما برهن عليه في محله من علم الكلام . وإن كانت التسوية في استحقاقها للعبادة فهو يستلزم اعتقاد الاشتراك فيما به الاستحقاق وهو صفات

الألوهية أو بعضها، وإن كانت [] النسوية في العبادة نفسها فهي لا تكون من العاقل إلا لمن يعتقد استحقاقه لها كرتب العالمين تارك وتعالى عما يشركون. ثم نقول هم وإن لم يعتقدوا لها خلقاً ولا رزقاً ولا تدبيراً للأمر بدليل ولئن سألهم من خلق السماوات والأرض وفي الأخرى من خلفهم ليقولن الله قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار إلى قوله فيقولون الله لكنهم اعتقدوا أنها لا محالة مقبولة الشفاعة لهم عند الله في دفع المضار وجلب المنافع عاجلاً وأجلاً على تقدير البعث كالنصر على الأعداء ولذا قالوا لما ظهر لهم الغلب في أحد أهل هبل والعصمة من العذاب ولذا قال تعالى قُل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً فقد قطعوا بقبول شفاعتها لهم حتى كأنهم لا يجوزون في حقه سبحانه أن يرد شفاعتها ويخالف مقتضاها ولم يلتفتوا إلى توقف شفاعتها على إذنه سبحانه ورضاه فقد أوجبوا نفوذ مشيئتها معه فهذا اعتمدوا عليها. ووجوب نفوذ المشيئة من خواص الربوبية وأيضاً اعتقدوا أنها في نفسها تنفع وتضر وعلى ما ذكرناه من اعتقادهم فيها تلك تلويحات القرآن المصروفة للتعريض بهم والرد عليهم كقوله تعالى: وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون، والاستفهام فيه لتوبيخهم وتقريرهم على ما اعتقدوه من ذلك وقوله «أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور» «وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله» «أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولئو كانوا لا [] يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً» «أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا» «ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون» «قُل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون» «والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» «قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً» «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه». قال الثعلبي هذا إبطال لقول الكفار إن الأصنام تشفع لهم أهد، ونحوه في تفسير الرازي وغيره. وظاهر أن إبطال قولهم بالآية إنما يحصل إذ لم يجعلوا شفاعتها متوقفة على إذنه تعالى وقال البيضاوي في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعته واستكانة فضلاً أن يعارضه عناداً أو مقاصفة أهد. وفسر جماعة الإذن بأمره تعالى بالشفاعة لمن شاء وإطلاقه الشفاعة للمشافع كما يقع للمصطفى ﷺ إذ يقال له كما في حديث الشفاعة الشفع تشفع، والذي يظهر والله أعلم تفسير الإذن يلزمه من الرضا والاختيار والمعنى لا أحد يشفع عنده شفاعته نافعة إلا برضاء واختياره تعالى إذ لا يتخذ لأحد مراد لم يردده الله تعالى وإلى هذا تشير عبارة البيضاوي المتقدمة. وعليه فالمعنى هو الشفاعة النافعة كقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً. والعصبة في هذا تفسيري وكذا في قوله وكم من ملك في [] السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى. ويؤيده الاقتصار على الارتضاء في قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ويدل له أيضاً أن الشفاعة ليست إلا بمعنى الدعاء للمشفوع له والابتهاج إلى الله تعالى في أن يصرف عنه عثرة أو يعطيه مهرة. وهذا لا يتوقف على إذن خاص ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام واغفر

لأبي أنه كان من الضالين . فلهذه شفاعته لأبيه ولكن لم تنفعه لأن تعالى لا يغفر أن يشرك به ولا يختار هذه المغفرة ولا يرضاهما . وإلى قول المصطفى ﷺ لعنه أبي طالب لأستغفرون لك ما لم أنه عنك فاستغفاره له شفاعته . قال قتادة في قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ذكر لنا أن رجلاً من الصحابة قالوا يا رسول الله إن من آياتنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويكف العاني ويوفي بالنذر أفتستغفر لهم قال بلى والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله : ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ، نقله الحافظ ابن كثير . وانظر إلى صلاته أيضاً على عبد الله بن أبي وإلياسه قميصه وقوله وأزيد على السبعين وكل ذلك في الصميم وكله من الشفاعات التي لم تكن عن إذن خاص ولم تنفع لها مرة ولذلك قال تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الآية . قال الحافظ ابن كثير يخبر تعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار وأنه إن استغفر لهم ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم ، وقد قيل إن السبعين إنما ذكرت حسناً لمادة الاستغفار لهم كان العرب في أساليب كلامها تذكر [السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها وقبل بل لها مفهوم . كما روى العوفي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرون أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم . فقال الله تعالى من شدة غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين . وقال الشعبي لما نقل عبد الله بن أبي أنطلق ابنته إلى رسول الله ﷺ فقال إن أبي احتضر فأحب أن تشهده وتصلني عليه ، فقال له النبي ﷺ ما اسمك قال الحبيب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحبيب اسم الشيطان قال فتنطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عري وصلني عليه ، فقيل له أتصلني عليه قال إن الله تعالى قال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة ولا تستغفرون لهم سبعين وسبعين وسبعين ، وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد بن جبر وثلاثة بن دعامة رواها ابن جرير بإسناده أحد . فالمتحصل من هذا أن الشفاعات لا تنوقف على إذن خاص بمعنى إطلاقها وإباحتها للشافع ولكن يتوقف نفعها على رضاه تعالى أن يقبلها واختياره لذلك وهذا الثاني محل غلط المشركين فإن قيل كيف يحتج بما لم يستغفر عليه الخليل عليه السلام من استغفاره لأبيه وبما لم يقر عليه المصطفى ﷺ بل نهوا عنه [قلنا الاحتجاج إنما هو بوقوع الاستغفار لا بالتقرير عليه والتقرير وعدمه قدر زائد على الوقوع وذلك أن قوله تعالى : من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه استنبههم إنكاره في معنى نفى عام بدليل الاستثناء المفرغ فكانه قيل لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه فلو حمل الإذن على ظاهره لكان الإحبار بذلك النفي العام منافياً للوقوع وإذا حمل الإذن على الرضا انتفت تلك المناقات فإن حملت الاستنبههم على معنى النهي لم يلزم سابقه ولا حقه ولزم أن يكون النهي سابقاً على فضية ابن أبي لأنه مات آخر التاسعة كما في كتب التفسير والسير والبقرة أول ما نزل بالمدينة مع أن نظير هذه الآية نزل بمكة كقوله تعالى في سورة يونس : ما من شئع إلا من بعد إذنه . ومحال أن يفهم رسول الله ﷺ النهي ويقدم على المنهي وليرجع إلى ما كنا بصدده من بيان اعتقادهم في آلهتهم فنقول ومما يدل على أنهم اعتقدوا في الأصنام أنها تنفع وتضر ما في حديث ابن إسحاق أن ضمام بن

تغلبه السعدي لما وفد على المصطفى وأسلم وبين له رسول الله ﷺ الفرائض وقدم على قومه واجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن سب اللات والعزى ما يا ضمام اتى الجذام اتى البرص اتى الجنون. فقال ويلكم إنيما والله لا يضران ولا يضران ولا يضران ولا تعرفان من عيدهما ممن لم يعدهما إن الله تعالى أرسل رسولا وأنزل عليه كتابا فاستغذكم مما كنتم فيه الحديث. وعمل ما ذكرنا من اعتقاد [عبدة الأصنام فيها يقال في كل ما عيد من دون الله فإن عابده يعتقد له صفة الألوهية كالشمس والقمر والكوكب والنار والنور والظلمة والملائكة وعيسى وأمه فأين هذا ممن يستغيث من المسلمين بنبي أو ولي ويسأله شفاعا أو يتوسل به أو يدعو عنده أو يترك بأثره معتقدا أنه لا يسلك نفعاً ولا ضرراً وإنما يسأله أن يعاونه بالدعاء والابتهال ويسأل الله له من فضله عالماً أن الله إن شاء قبل دعاءه وإن شاء رده وأنه لا مشيئة لأحد معه :

فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

وإنما بفعل ذلك لقوة الرجا في القبول فضلاً وإحساناً لعظيم جاههم عند ربهم ولنزول الرحمت حول ساحتهم لا لوجوب القبول عليه تعالى إذ العقيدة السنية أنه لا يجب عليه تعالى شيء بل لا يتيقن القبول وإن كان بتخييل من قوة الرجا واليقين كقول الصفي الحلي مخاطب المصطفى ﷺ :

إليك رسول الله أشكو جرايماً	يواسي الحبال الراسيات صغيرها
كبائر لو تبلى الجبال بحملها	لدكت ونادى بالشهور ثبيرها
وغالب ظني بل يقيني بأنها	ستمحي وإن جلّت وأنت سفيرها
لأنّي رأيت العزب تخفر بالعصا	وتحمي إذا ما أمتها مستجيرها] [
فكيف بمن في كفه أورق العصا	يضام بنو الأمال وهو خفيرها

فإذا كانت الاستغاثة بهم وسؤالهم الشفاعا على الوجه الذي ذكرناه لم يبق محل لدعائها وانزاح الإشكال عما عليه عامة أئمة المسلمين من فعل ذلك والتوسل بهم وظاهر أن قصدهم وزيارتهم والتوسل بهم والدعاء عندهم والترك بأثارهم كذلك يحمد ولا يذم ويتجح الاغباط لا الذم ويوجب الرجع لا الخسران ويكون من الطاعة لا العصيان وليس كفراً بل من كمال الإيمان. قال الشيخ أبو عبد الله ابن الحاج في كتابه المدخل : وأما عظيم جانب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الراير ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتلطف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم يعين قلبه لا يعين بصره لأنهم لا يملون ولا يتغيرون ثم يشي على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرته وذنوبه وليستغيث بهم ويطلبها حوائجهم منهم ويجزم بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته تبارك وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل

[illegible]

بعضه موده أمصطفي بن عطاء عبد شدد بقصد جبهة فصار كعبه كعبه لا أثر له
رسول [لله خير حمد فيما يكف كعبه معونه بن ورنه عسبر بن بنافه مدفا منهم بنو
امت بنو خط من ذكيت سعيه له بنو في الامام سبدي حمد عسبر في كنه فتح الصلح
ذكر عبد حمادة من بعداء بلفظي بهم مثا مع سبدي وعسبر شدد هم فيه ما عسبر اعلم
من حال كثر من عسبر بنعماء كسبه سبدي بنو من عظمونه مدس وقد من يستصين
و كعب كثر من عسبر بنعماء كسبه سبدي بنو من عظمونه مدس وقد من يستصين
هو ووال بنعماء بن بن عسبر لاسكن سبدي عسبر عسبر بنو عسبر
عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
و درسه آتو وقد ان شاد بنو لا بدع بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
هو بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
لا رس مدنت و ساه بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
روا عن الامام حمد بن عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
هو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
أبلى حيث يقول

أفضل د الحذر ودا الحذر
وما حث الدبر شعور قلبي

ثم قال سبدي وعسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
مدتهم كنه هه من بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
و كسب لاسكن بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
شع علامه لكس سبدي بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
و أي مدرس بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
و خصوص بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر

وهي دار الحديث لطيف معي
أصلي في جوانبه واوي
لعني أن أمن بحر وجهي
مكناً منه قدم الشاوي

و د كس بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر بنو عسبر
على ما حصلوا وما أحسن قول العلامة أحمد بن محمد الحارثي الحفصي

وهي عار الرسول لطيف معي
تحز إلى جوانبه عظمي
لعني أن أمن بحر وجهي
مكناً منه قدم لتهامي [1]

علي رحمة الله عليه في سنة ١٢٠٤ هـ

وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُزْفَرُ فِيهَا
ثُمَّ يَرْفَعُهُ رَّبُّهُ عَلَى عَرْشِهِ

فِي يَوْمٍ يُصْعَقُ فِيهَا كُلُّ غَافِقٍ
وَأُنْظَرُ فِيهَا عِلِّيُّونَ

وقد فهم الذين لواحى لشافعى رحمه الله تعالى

أقسام الأطراف لا يتم به العمق
أو يرى حجره الرسول ويشكو
يا حطيب الررى ويا جامع العصل
دب مصلى العراء فيك فكم ذ
كل عام يروم منك وصالاً
سعد من رازق خير سمي

[illegible]

وعلى عهد إله ثلاث محجري من نكم الجدرت ولعوصات

لأعمرن مصون شيبتي بهن من كثرة التقبيل والرشح

[illegible]

[illegible]

من شعره في قوله عليه وجهه من عربي في نفس من حوته عليه سلام من في له
 أن يصلي على من ولا لا سي عليها مسجد يحدث في ولا يسبح بذكر له من فعل
 بصري لا يدهي له في يكون عليه ولا يقع عليه بر لا حسن وفي منصرف قصص بقر
 سفي ووجه مختلفه من من على في ربه نقاسي وهي سر المهتدين له في من في من
 لا يزال يشهد

أسرد حديث الصالحين وسكنهم
 وذاكرهم تشر
 واحصر مجالسهم ثل تركاتهم
 وقبورهم رعايتهم ماتوا
 وفي الشيخ رزوق في شرح المباحث وما براء في حديث من في حبس لرسالة
 العلمية يشترط أن لا يس من طريق عموم وذكر من عربي من عليه له لا يسفع
 غير قد لا جعلها العربي من عهده له وعنده صاحب المدخل في شعر كلامه من حر
 وحبهم لا عمل عليه وقد صوب في كتاب علي حين كثير في من في ر شعبت بها لأسعد
 أسرد عهده وقع في عنها شيء عربي وقد نظم فيه سبع نو يسحق بره من عرب من
 وهران أحد المشاهير لمسلم لهم باعهم والعن في وقته قصده قد في

ريادة أرباب التمسى منهم سري
 وتحدث في القلب الحلبي إردة
 وتبصر مظلوماً وترفع حاملاً
 ونسب مقصوداً ونصحك باكراً
 عيت بها فالقوم يا حو سرف
 فكم حبيب من حدة لأه فكم
 فكم من بعد فكم من حدة
 فكم من مريد أظفرتة بمرشيد
 فكم من بعد فكم من حدة
 فكم من تأذت بعد تصحيح بي
 ولا فرق في أحكمها بين سائت
 ودي انهم والعبادة فاكل معهم
 فكم من بعد فكم من حدة
 فكم من تأذت بعد تصحيح بي
 ولا فرق في أحكمها بين سائت
 ودي انهم والعبادة فاكل معهم

سفي ربه ما أسقطه ويرى وعنده له ذكر له فيها من حقيقة في من سفي
 خلاصه وفي في التواعد في مسجده د سفي من محرمه في حدة في حدة
 من ذلك لأمر أي حدث هذا ومرتبه في في ر في حدة في حدة في حدة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وَأَنْتَ أَذْنَى لِحُرَمَتِكَ وَيَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ الْيَوْمَ بِأَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ

[illegible]

وكن شهيماً يوم لا دو شعاعه

[illegible]

[illegible]

في حانة البعد روي كك زسده
وعده بده لاسيح ق حصر -

بعل الأرض عسي فلهي مائي
فامد عسك كي بطني ي سمشي

[illegible][illegible]

وفي بعد سبعة عشر
 سورة في حكي حري
 ما سمع منسوخ في حكي
 وذلك في حكي في حكي
 ولا لأعني من كل يوم
 في كاد في كاد في كاد
 ولا غير ذلك في كاد
 ويسمعه في كاد في كاد
 ومن ثم في كاد في كاد

في كل السنين من عهد
 ابيك في كل من السنين
 من عهد ابيك في كل من
 السنين من عهد ابيك في كل
 من السنين من عهد ابيك في كل
 من السنين من عهد ابيك في كل
 من السنين من عهد ابيك في كل
 من السنين من عهد ابيك في كل

[illegible]

$\frac{P}{\rho} = \frac{1}{2} C_D U^2$

لا تشملنا بالعتب يوماً لسورى

ب ل ا ه و ح ز ط ي ق ك خ د ذ ر

وَعَبْدُكَ وَخَلْدُكَ وَخَلْدُكَ وَخَلْدُكَ

والفروج وأشاعوا الرفض. قال يوسف الزعبي: أجمع العلماء [] بالقيروان على أن حال بني عبيد
حال المرتدين والردة لما أظهروا من خلاف الشريعة. قال ابن خلكان. وقد كانوا يدعون علم
المغيبات وأخبارهم في ذلك مشهورة حتى إن العزيز صعد يوماً المنبر قرأ ورقة فيها:

بالظلم والجور قد رضىنا وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أعطيت علم الغيب فقل لنا كانت البطاقة

انتهى المراد منه. وقوله الذين قال الله فيهم يحلفون بالله ما قالوا إلى قوله ويوحدون وكذلك
الذين قال الله فيهم قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون الآياتان في المنافقين بين الله تعالى بهما
ظهور نفاقهم بعد كنتمهم له. قال البيضاوي روي أنه عليه الصلاة والسلام أقام في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سريد لئن كان ما يقول محمد لإخواننا
حقاً فنحن سر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت وناب
الجلاس وحسنت توبته وقال في قوله: وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام
فقد أظهر الجلاس ما يخالف ما كان ينطق به من الشهادتين ويحل بمقتضاه تصديقه بالرسالة فلذلك
سجل عليهم بالكفر أي إظهاره لكنه تاب بعد قوله تعالى: فإن يتوبوا يك خيراً لهم. وقال في قوله
تعالى: ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. روي أن ركب المنافقين مروا على رسول
الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه عيهات
ميهات فأخبر الله بهم نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في [] شيء من أمرك
وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقر بعضنا على بعض السفر. ثم قال في
قوله قد كفرتم قد أظهركم الكفر بإيذاء الرسول عليه الصلاة والسلام والظعن فيه بعد إيمانكم بعد
إظهاركم الإيمان انتهى. ولا يتنافي الحكم بكفرهم قوله إن يعف عن طائفة منكم مع أن الله لا يعفو
أن يُشرك به لأن المراد العفو بالتوبة والإخلاص قال ابن جزري وغيره كان رجل منهم يخشى ابن
حمير تاب ومات شهيداً والحاصل أن هذا المستدع ساق الآيتين ليدل على أن التصديق في بعض
والتكذيب في بعض لا يحصل معه إيمان مع أنه ليس فيهما تصديق في شيء. وأما أن التبعيض لا
يحصل معه إيمان فمسلم لا شك فيه ولم يحصل من الذين يدعى عليهم الشرك تبعيض ولكنه تقوله
عليهم وقوله ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل فيه نظر بل نقول
إنها نعصم الدماء والأموال إلا بحفظها ومن حفظها أن تستباح بالكفر بعد الإيمان إذا ظهرت أمارات
التكذيب بما عده الفقهاء ردة وقد ثبت في الصحيحين عن حديث ابن مسعود مرفوعاً لا يحل دم
امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل النفس. وقوله إن التوحيد لا
بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً إلخ هذا كلام
فيه تخليط فراجع ما سبق من تحقيق إطلاقات الإيمان والإسلام وما هو منها حقيقة شرعية وما هو
مجاز شرعي ترشد والله الموفق للصواب وإليه ارجع والمآب وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. []

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله لما قدمنا الكلام في قمع حجج وردت من بعض بدو أهل الناحية الشرقية ألزم فيها تكفير هذه الأمة المحمدية فاستوجب بذلك الشقاوة الأبدية منيح لي أن أذكر ما خطر بالبال من كلام فحول الرجال وأنه لا يكفر أحد يذنب من أهل القبلة فأقول والله المستعان هذا مهني على ما سبق من أن الأعمال ليست جزءاً من حقيقة الإيمان بل من كماله فلا منافاة بين حقيقة الإيمان الذي هو التصديق القلبي وبين الإقدام على الكبيرة بمجرد شدة أو حمية أو كسل خصوصاً إذا اقترن به خوف العقاب ورجاء العفو والعزم على التوبة. نعم إذا كان بطريق الاستحلال والاستخفاف كفرأ لكونه علامة على التكذيب ولا نزاع في أن من المعاصي ما جعله الشارع أمانة على التكذيب وعلم كونه كذلك بالأدلة الشرعية كالسجود للصنم ونحوه والبقاء المصحف في القاذورات والتلفظ بكلمات الكفر ونحو ذلك مما يثبت بالأدلة أنه كفر وبهذا ينحل ما يقال إن الإيمان إذا كان عبارة عن التصديق والإقرار ينبغي أن لا يصير المصدق المقر كافراً بشيء من أفعال الكفر وألفاظه ما لم يتحقق منه التكذيب أو الشك وعدم السفاة هو أحد الأدلة ومنها الآيات والأحاديث الناطقة بإطلاق المؤمن على المعاصي كقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً وقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهي كثيرة ومنها إجماع الأمة من عصر النبي ﷺ إلى يومنا هذا على الصلاة [] على من مات من أهل القبلة من غير توبة والدعاء والاستغفار له مع العلم بارتكابهم الكبائر والاتفاق على أن ذلك لا يجوز لغير المؤمن قاله في شرح العقائد ومنها الإجماع على صحة عبادتهم ومنها أن الذنب لو كان مزيلاً للإيمان لما نصبت الحدود والعقوبات على مرتكب موجبها بل كان الواجب القتل كالردة وقد أتى رسول الله ﷺ برجل يشرب الخمر ليقيم عليه الحد فقام رجل فقال ما أكثر ما يؤتى به لعنه الله فقال رسول الله ﷺ لا تلمه فإنه يحب الله ورسوله ولا يعارض قول ابن أبي زيد قوله تعالى فمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون حيث جعل المؤمن مقابلاً للفاسق وقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا إيمان لمن لا أمانة له لأن المراد بالفاسق في الآية هو الكافر فإذن التكفر أعظم الفسوق. والحديث وارد على سبيل المبالغة والتغليظ في الزجر على المعاصي. فالمراد بالمؤمن في الحديثين المؤمن الكامل ولكن ترك التصريح تغليظاً ومبالغة في الزجر بدليل الآيات والأحاديث الدالة على أن الفاسق مؤمن حتى قال عليه السلام لأبي ذر لما بالغ في السؤال وإن زني وإن سرق على رغم أنف أبي ذر فسقط قول المعتزلة إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وهو المنزلة بين المنزلتين مستدلين بما سبق. ولا يعارضه أيضاً قوله تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ونحو ذلك لأنها متروكة الظاهر قاله في شرح العقائد الشافية قال الكمال لأن من وإن كانت للعموم بناء على عموم الموصولة فالمراد العموم في اليهود دون هذه الأمة والمراد بما أنزل الله التوراة [] بدليل السياق في قوله: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية وهذه الآية غير متعبدية بحكم التوراة قال ابن جزري وقال جماعة هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان

انتهى. فسقط قول الخوارج إن العاصي كافر استدلالاً بهذه الآية ونحوها وقول ابن أبي زيد ولا يكفر إلخ قال الفاكهاني هو مذهب جميع أهل السنة سابقاً وخلفاً قال التتائي فيه نظر لقول ابن حبيب وابن عبد الحكم ومن وافقهما بتكفير تارك الصلاة عبداً أو تفریطاً وكذا الزكاة والصوم والحج وقوله بذنب يشمل الذنوب الجوارحية والاعتقادية وفي الأجهوري أن المراد بالذنب في النص البدعة وأتى بهذا البيان حكم أهل البدع عنده فإن في كفرهم اختلافاً وهذا لا يستفاد من قوله: وجعل من لم يتب إلخ لأنه في المؤمن وهو يحتمل شموله لأهل البدع بناء على أنهم مؤمنون وعدم شمولهم بناء على كفرهم انتهى. وفي التتائي وقد اختلف قول مالك والشافعي ومن وافقهما في تكفير أهل البدع كالفدرية وغيرهم قال عياض وأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بكفرهم لكن يؤدون ويستتابون انتهى. قيل لمالك أكفار هم قال من الكفر فروا وقال الشَّيْخ أبو بكر بن فورك الغلط في إدخال ألف كافر بشبهة إسلام خير من الغلط في إخراج مسلم واحد بشبهة كفر والفدرية الذين وقع الخلاف في كفرهم هم الذين يعتقدون الخير من الله والشر من فاعله وأما الفدرية الذين ينكرون أن الله قَدَرُ الأشياء في [I] الأول بل يقولون الأمر أُنْفِ بضم الهمزة والنون أي مستأنف لم يسبق قدر ولا علم من الله به وإنما بعلمه بعد وقوعه وهم كفار بلا خلاف كما ذكره النووي عن عياض ومولاء لم يبق منهم واحد قاله الأجهوري وقوله من أهل القبلة هم المؤمنون المصلي منهم وغيره وقبل المصلي فقط أي وأما غير المصلي فيكفر بالذنب والنظر ما معنى هذا الخلاف الذي ذكره هنا فإن القول بكفر تارك الصلاة غير مقيد بارتكاب كبيرة أخرى بل ترك الصلاة لمجرد كفره عند هذا القابل ولا نعلم قولاً ثالثاً إنه لا يكفر إلا بارتكاب كبيرة أخرى والله أعلم بالصواب. انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

